المصالح والمنافع * فهي على كونها عرضا يتلاشى في الهواء * جديرة بان تدل على السخرية والاستهزاء * كوصف النذل الجبان * بأوصاف الشجعان * وكاطلاق القاب اكابر العلماء * على سفلة الجهلاء * فقالوا لها ان الشرف والمجد * ماقوبل صاحبه بالتعظيم والحمد * ولا يشترط عندنا ان يطابق مدحه الواقع * ولا ان يكون مظهراً للمنافع * فخير للمرء ان يؤذي فيكرم ويهان * من ان ينفع فيؤذى ويهان * فقالت اما وقد فسدت هكذا الطباع * وتغيرت كما ذكرتم الاوضاع * فقد بطل الدليل والمدلول * وظهرت العلة والمعلول * وتبين انه لم يبق من شرف لهذه الوسامات * ولا لأكسية التشريفات * بل ربما دلت على خسة ذويها * وسخافة رأي الراغبين فيها * وارى من الفضيلة التنائي عنها * وتطهير صندوقي منها * ثم ألقتها وتخلت * واذنت لربها وولت * فتهافت لالتقاطها الاشرار * تهافت الفراش على النار * فكان الشرف بهذه الاشياء * من نصيب هؤلاء * وما اصاب بعض الكرام * من رتبة اووسام * فانما كان بالمصادفة والاتفاق * لالكونه من اهل الاستحقاق *

﴿ استنهاض همم ﴾

(١٤)

ان ماذكرنا من حركة خواطر المسلمين وتاجي ارواحهم في اصلاح شؤونهم لابد ان يعقبه انصلات عزائمهم وتحفز هممهم للوثوب فيندفعون وراء الاعمال اندفاع السيل المنهمر . تتحاور علماؤهم في شأن العلوم الاسلامية الدينية واللغوية وتنقيحها وميز كل علم عن آخر ووضع تآليف جديدة سهلة المأخذ خالية عن الركاكة والتعقيد في كل فن مرتبة على حسب مقدرة الطالب وتبش ما الاسلافنا من الآثار والتآليف النفيسة التي أودع فيها طرائق السلف الصالح واعمالهم واخلاقهم وآدابهم ومشاربهم ونشرها بين

الكافة ليتنعموا بها واحياء العلوم الادبية والاخلاقية والتاريخية وحمل الطلاب والناشئين على دراستها ثم النظر في طريقة التعليم وتحسينها وجعلها بحيث تمكن الطلاب من تحصيل العلم الاسلامي بمدة قصيرة ثم اذا رأي بعض أولئك الطالبين من نفسه ميلا للتبحر في العلوم الاسلامية والتعمق فيها أو الاخصاء (*) في علم واحد منها والتوسع فيه كان له ان يكب على تقصي الابحاث في مسائل تلك العلوم او ذلك العلم والوقوف على ماقاله المتقدمون والمتأخرون وما حرره أرباب الشروح والحواشي ومن آنس من نفسه تجافياً عن التوسع في تلك العلوم والخوالا دون تتبع ابحاثها وتأثر تائجها حق له ان يكتف على دراسة الفنون العصرية في كتب مؤلفة لهذه الغاية ويتخير له علما منها يخصي فيه ويتضلع من مسائله فيستفيد منه ويفيد اهل وطنه وأبناء قومه

لانهمك الطلبة في علوم عقيمة لاتنتج فائدة ولاتبعث على عمل . العلم هو مايربي في نفس الطالب ملكات فاضلة واخلاق شريفة تحركه في تحصيل مابه منفعة تعود على ذاته بالخير الدنيوي أو الاخروي أو مصلحة عامة تورث مجموع الامة مجداً وسعادة وعزاً وسيادة العلم مايتوقف عليه انتظام مصالح البشر ويحتاجون اليه في قيام شأنهم وحسن معيشتهم وراحتهم . ليس من العلم النافع في شيء العلم الذي يضعف قوة العقل الحاكمة ويوهنها ويقتصر اثره على تقوية الذاكرة وتنميتها . ليس من العلم في شيء علم من ينفق عمره ويبذل ثمين وقته في تفهيم اساليب المتقدمين أو المتأخرين وتحليل عباراتهم وتفكيك عقد ابحاثهم وتصحيح اغلاطهم وتأويل أوهامهم

هذا مايخلق بالعلماء ان ينظروا فيه ويتوخوا اصلاحه ومداركة خلله . والمتمرنون على الخطابة منهم يعظون العامة في المحافل والمجامع ويحثونهم على العمل والنشاط في الكسب ويوقظون افكارهم من سنة الغفلة ويشعرون قلوبهم العزة والنخوة ويشربونها حب المجد والميل الى المعالي ويفهمونهم انهم لم يزالوا بعد في مرتبة الانسانية وان مزاياها الفاضلة لم تزل متأصلة في نفوسهم وان تلك المزايا قد يورثونها لخلائفهم واعقابهم فتقوى فيهم وربما ينشأ عنها في بعضهم اعمال شريفة تكون عاملة في نهضة الامة ونشلها من

(*) الاخصاء مصدر خصى يخصي اذا تعلم علماً واحدا واقتصر عليه

حضيض الخمول الى يفاع القوة والسيادة . لاريب ان مثل هذا الكلام يحض العامة على النظر ويبعث هممهم للعمل ويحبب اليهم تربية اطفالهم وتخريج احداثهم في العلوم والآداب فينتشر التعليم والتهذيب بين الدهماء وسواد الامة الذين هم حقيقة الامة ومنهم تتكون هيئتها ويرتفع بنيانها . وينشئ الكتبة البارعون المقالات المهيبة في العصر ومقتضياته وفائدة التعاون والتكاتف في قيام المشروعات الكبرى ويبينون لهم كيف يشرعون ومن أين يبتدأون ويقوم ذوو اليسار والمال بتأسيس جمعيات خيرية وشركات مالية تتبارى في خدمة الامة والاخذ بعضدها كل منها يبادر الى عمل أو مشروع يعلم احتياج الامة اليه وتوقف نهضتها عليه ووراء ذلك السلطة الوازعة تحدو بالمقصرين وتأخذ بحجز المعتدين الجائرين الى آخر ما تكفلت باستيفاء تفاصيله وايضاح طرائقه صحائف مجلة المنار الغراء

أما والله لو هبت الامة للاصلاح كما ذكرنا وخف كل فرد من افرادها للعمل كما شرحنا واستقاموا على الطريقة التي نهجها الله تعالى لاسعاد الامم وقيام الدول لما أتى عليها من الزمان الا مثل ما أتى على أمة اليابان حتى تزاحم السابقين وتسود مع السائدين وتأمن على جنسيتها ولغتها وتبوأ مستقبلها متبوأ رحباً

فما أتممت كلامي حتى اعترض الحديث معترض يسأل كيف يتسنى للامة العمل والنهوض وهذه عقبان المطامع تحوم حول البلاد وتهم بالهوي عليها لتمزيقها واختطاف اشلائها ؟ ام كيف ينفسح الوقت للشروع في الاصلاح وأراه لو انفسح للشروع فيه لا ينفسح لانجازه والتمتع بنتائجه فما الفائدة اذن من العمل ولماذا تنضي العزائم وتعيي الهمم في تحصيل ما انصدّ عن اتمامه وترد دون بلوغ غايته

ومذ سمعت ماقاله هذا القانط الساخط وجمت (١) وحسبت (٢) وقلت ان بين أيدي العاملين لنهزة تكفي بمعونة الله لوضع مقدمات الاصلاح والانتفاع بنتائجها واجتناء ثمراتها لكن عليهم ان يغتنموا تلك النهزة ويسارعوا لاختلاسها قبل جموحها وشماسها وقد استبان للقارئ مما المعنا به من شؤون الولايات العثمانية ومطامع الدول فيها ان الاضطراب السياسي والانشقاق الداخلي بلغا مبلغهما في ولايتي الارمن ومكدونيا بحيث

(١) وجمت سكت على غيظ عابسا مطرقا لشدة الحزن (٢) قلت حسبي الله

تذهب النفس الى ان الزمان قد لاينفسح لترقيهما قبل ان يختزلا من بين اخواتهما اما سائر الولايات التركية والعربية فليست بهذه المثابة وان كانت مهددة بالاخطار ومحتفة بالاطماع فالمدة بين يديها افسح . والامل في حفظ استقلالها ووقاية استقلالها اقوى وارجح

باب التوسعة في التعليم

(تعليم النساء)

كانت المرأة مهضومة الحقوق يعاملها الرجال بالاستبداد في جميع الاجيال والاعصار حتى جاء الاسلام فسوى بين الرجل وامرأته في جميع الحقوق والواجبات الا انه جعل الرجل كافلا للمرأة واعطاه حق الولاية العامة لقوته وضعفها فقال القرآن (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) بل رفقت الشريعة الاسلامية بالمرأة فوضعت عنها بعض العبادات في بعض الاوقات . ومما ساوت به بينهما وجوب التعليم فجعلت طلب العلم النافع فريضة على كل مسلم ومسلمة . ولكن المبادئ التي وضعها الاسلام لترقية النساء لم يعتن بها المسلمون العناية التي تؤدي الى بلوغ غاية الكمال كما كان شأنهم في كثير من المبادئ والقواعد الاجتماعية العامة التي شغلوا عنها بالتوسع في سواها مما لا يستحق اكثر العناية مثلها وما صدهم عن مثل هذا الا ما ورثوه من العادات عن اسلافهم . ولما كانت نصوص الكتاب والسنة المادحة للعلم والمرغبة فيه والحاثة عليه تشمل الرجال والنساء كما هي القاعدة الاصولية في الدين الاسلامي زعم بعض الفقهاء ان طلب العلم لا يشمل طلب الكتابة (الخط) ولا يقتضيه ثم أوردوا احاديث تدل على منع النساء من تعلم الكتابة ولما لم يعترف لهم المحدثون بصحة شيء منها رجعوا الى قياسهم فزعموا ان في تعلمهن الكتابة مفاسد تقتضي كراهتها على الاقل . وقد اورد عليهم المعارضون حديث الشفاء بنت عبد الله قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة رضي الله عنها فقال لي الا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة رواه الامام أحمد وأبو داود والنسائي وأبو نعيم والطبراني ورجاله ثقات . فأجاب الذين تمسكوا باحاديث النهي بأن هذا الحديث يدل على الجواز وتلك تدل